لقاء العدد

فضيلة الشيخ حسن بن زيد النجمي لـ«العدل»:

عملت في خدمة القضاء (٤٩) عاماً حتى سن التقاعد

وأبرز مشايخي فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي

بلغ السن النظامية للتقاعد عام ١٤١٧هـ، بعد أن خدم القضاء مدة طويلة من الزمن، وتنقل بين عدة مواقع لخدمة مرفق القضاء لمدة (٤٩) عاماً، وبت في الكثير من القضايا بين المسجد والمنزل، ويرى أن سن التقاعد ليس نهاية التحصيل العلمي. في منزله العامر في مكة المكرمة حاورناه فإلى فقرات هذا الحوار:

أجرى الحوار: محمد بن راشد الدبيان

■ حدثونا فضيلة الشيخ عن نشأتكم ومراحل طلبكم للعلم ومشايخكم وأبرز من استفدتم منهم؟

- ولدت في عام ١٣٤٣هـ، في قرية النجامية التابعة لصامطة، ونشأت فيها حتى قيض الله تعالى أن جاء الشيخ عبدالله القرعاوي إلى المنطقة الجنوبية وكان - رحمة الله عليه - له الفضل بعد الله عليّ، حيث جاء هذا الداعية المصلح إلى المنطقة وهي في جهل دامس من عبادة للقبور وغيرها فأنقذهم من ظلام الجهل إلى نور المعرفة والحكمة، كما درست على تلميذه البار الشيخ حافظ بن أحمد حكمي - رحمة الله عليه - هؤلاء مشايخي الذين أخذت العلم في بداية طلبي العلم منهم.

وعينت عام ١٣٦٤هـ مدرساً في البرك، وكان ذلك الوقت صادف وجود الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد من أهالي بريدة، فكنت أدرس واقرأ عليه طيلة إقامتي فيها، ثم نقلت إلى القحمة، ثم نقل الشيخ ابن حميد إلى القنفذة، ثم نقلت معه إلى القنفذة، وعينت وكيلاً لرئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكثت أدرس عليه، وعلى عالم

آخر يقال له محمد سايخ الشنقيطي - رحمة الله عليه - فكنت أدرس على الشيخ عبدالله بن حميد من بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء، والشنقيطي من بعد العشاء حتى الساعة الخامسة من الليل بالتوقيت الغروبي، ثم من الضحى إلى الظهر - رحمة الله عليهم

درست عليهم وافتخر بهم الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل الموجود الآن في مدينة أبها، حيث كان رئيس المحكمة، ثم أحيل للتقاعد لأمراض اعترته، نسأل الله له الشفاء، وهو من العلماء الأفاضل، حيث لا يفتر لسانه عن ذكر الله وقراءة القرآن.

هؤلاء بعض مشايخي الذين قرأت عليهم، واستفدت منهم، وتأثرت بهم رحمهم الله وأسكن الجنة الموتى، والحي متعنا الله وإياه بالحسنى.

• هؤلاء أبرز من أخذت العلم منهم واستفدت منهم:

.الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي
.الشيخ حافظ بن أحمد حكمي.
.الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد
.الشيخ محمد سايخ الشنقيطي
.الشيخ عبدالرزاق حمزة
.الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل

أجمعين -

كما درست على الشيخ عبدالرزاق حمزة - رحمة الله عليه - في الحرم لمدة أربعة أشهر، حيث كان الشيخ عبدالله بن حميد يراجع لأجل افتتاح مدارس في القنفذة، ثم من آخر مشايخي الذين

■ بمَ يتميز القضاء في المملكة العربية السعودية؟

- هذا التميز شيء لا يجهله إلا جاهل أو ليس له خبرة في طلب العلم - سلمكم الله - لأن القضاء ينفذ شريعة الله في أرضه، وما أنزله الله في كتابه، وتكلم به سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، لا يحيد عنه قيد شبر، فالذي ميز القضاء في المملكة اتباعه لكتاب الله، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفيها كل خير، لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿ما

فرطنا في الكتاب من شيء﴾ - الأنعام:٣٨- ولذلك يقول أحد الصحابة وأظنه ابن مسعود - لا استحضر اسمه الآن - ما ترك شيئاً ما من طائر يطير إلا أعطانا عنه خبراً، صلوات الله وسلامه عليه وهو لا يقول إلا وحياً ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ - النجم:٣-٤- صلوات الله وسلامه عليه وما من خير إلا دل عليه ولا من شر إلا حذر عنه، فالشريعة كاملة وشاملة لجميع متطلبات الحياة والممات جميعاً، ولذا امتاز القضاء عندنا في المملكة العربية السعودية بتمسكه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه أئمة السلف - رحمة الله عليهم أجمعين - هذا الذي ميزه عن أغلب الدول لأن جميع الدول الحاضرة قضاءها يحكم بقوانين وضعية لا تستحق أن يلتفت لها ولا يعبأ بها، أما حكومتنا وقضاتنا فهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وما أجمع عليه سلفنا الصالح،

وحكومتنا منفذة لكل ما يأتيها من القضاء، ولذلك فحكومتنا يضرب بها المثل في الأمن، وأذكر لكم مثلاً عن ذلك الأمن أنني بعد أن توليت القضاء ذهبت من بلدة صبياء إلى جدة وحملني بعض التجار دراهم لأصدقاء لهم وعلى مسافة ٧٠٠ كيلو متر تقريباً، وكنت أنام في الخبت قرير العين والدراهم في جيبي لا أخاف إلا الله تعالى وهذا بفضل الله ثم

• هكذا أقضي ساعات اليوم

• هكذا اعترف مخفي أموال الناس على نفسه لفطنة القاضي

• عينت في الشقيق لمدة سنتين ثم القحمة ١٥ سنة فصبياء ١٥ سنة ثم إلى المضة ثم أبها لمدة ١٥ سنة ثم إلى التمييز

الأمن الذي يسود بلادنا لتطبيق قادتنا شرع الله فيها.

■ ما الكتب التي يستنبط القاضي منها الأحكام؟

- في الخلافيات كتاب المغني لموفق

الدين ابن قدامة، وهو على اسمه مغن - رحمة الله على مؤلفه - وكذلك كتابه المقنع والذي فيه روايتان ويعتمد عليه المذهب، وإن كان علماؤنا وقضاتنا يأخذون بالنص إذا خالف الكتاب، والكتب البارزة في المذهب الكشاف والمنتهى - رحمة الله على مؤلفيهما - وكذلك مجموعة فتاوى شيخنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ففيها ابن قاسم - رحمة الله عليه - في الزاد، وفتاوى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ.

■ أيؤخذ العلم من الكتب أم من أفواه العلماء؟

- الأفضل أن يؤخذ من أفواه العلماء، ثم يبحث، فطالب العلم إذا كان طالباً جاداً لا يكتفي بأخذه من العالم، بل يبحث في الكتاب عما أشكل عليه ويستفسر من العالم أو رجع إلى كتاب آخر أوسع من هذا، فالجمع بينهما واجب لطالب العلم.

■ هل لتأليف الكتب الشرعية موقع في اهتماماتكم؟

- ليس لي شيء من ذلك، ولكن لي ملاحظات على بعض الكتب بالتعليق، وذات مرة أخبرت سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أن الكتاب الفلاني يمدحونه واشتريته وعكفت على قراءته، ووجدت به كلاماً لا يليق، وقال - رحمه الله - مثلك الذي يميز بين الحق والباطل.

• على القاضي أن يخشى الله في تحري العدل وإنصاف المظلوم من الظالم

• حكمت في كثير من الخصومات بين المنزل والمسجد

• إذا كانت القرينة لا تتنافى مع الشريعة يأخذ بها القاضي

علم نافع كثير، ولكن لا يتقيدون إذا وجدوا قولاً مرجوحاً وفيه دليل مثلاً في المغني أو الاقناع وغيره أخذوا بالدليل أين ما كان، فهذه المصادر التي يعتمد عليها بعد كتاب الله عز وجل، المغني، والمقنع، والكشاف، والمنتهى وحاشية

ينبغي أن تشتري الكتاب وتعلق عليه، فأنا في الغالب أعلق على بعض الكتب وأقول: إن هذا الكلام لا يجوز، وهذا حرام، وهذا يخالف كتاب الله وسنة سيدنا الكريم، ومن الكتب التي لي ملاحظات عليها الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي، بها مخالفات في العقيدة، وكذلك ابن الحاج الداعية الذي له (المدخل الكبير) لكن له مخالفات من ناحية توحيد العبادة - نسأل الله العفو والعافية - وبعض العلماء مهما بلغوا من العلم تجد عندهم من الخرافات والبدع، ونحن في المملكة عندنا صفاء ونقاء العقيدة، حتى إذا سألت الطالب الصغير أو رجل البادية الجاهل عن التوسل بالقبور أو بشخص معين يجيبك إن هذا لا يجوز وحرام وكفر، وهذا من فضل الله وتوفيقه، ثم للداعية المصلح محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي نشر الدعوة، بعد أن ماتت أجيال فرحمة الله عليه فقد أحيا السنة.

■ ما أهمية معرفة القاضي للأمور الإدارية المعنية في عمله؟

- يجب على القاضي معرفة الأمور الإدارية والتعليمات المعنية في عمله، ومنها نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي وتنظيم الأعمال الإدارية، والقاضي لا بد أن يكون عنده فطنة في الأمور الإدارية ومسار المعاملات، وعلى سبيل المثال: جاءتني قضية عن واحد جاء بصر من منطقة جازان يحمله للتجار ويقول: جاءت أمطار وتعطل في الطريق وأبقى الحارس أو المعاوني على الصر وجاءه خبيث وأخذ من الصر وشكا علي هذا عندما كنت قاضياً في القحمة. وأمرت أولاً بلجنة تحصر الصر كم نقص منه، والدراهم التي معه،

• الحكومة جعلت ساعات للدوام الرسمية فعلى القاضي أن يهتم بتأهيل نفسه في بقية الوقت

• القضاء الشرعي شامل لجميع متطلبات الحياة ولذا تميز القضاء السعودي

وبعدما حصروها دونت بدفتر صغير، وقلت له: بكم خرجت من جازان بالنقود؟ فقال: خرجت بكذا، ثم كم صرفت ما بين جازان عن كذا وكذا ؟حتى أوصلته للقحمة، واطابق بين الموجود الذي معه وبين المنصرف، وإذا فرق شاسع، وقلت له: إن العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ قسموا المتهمين إلى ثلاثة أقسام، قسم مشهور بالديانة والورع لا يلتفت إلى التهمة المقامة ضده وربما يؤدب المتهم، وقسم مشهور بالفسق وعدم الخير، فهذا يُضرَب حتى يعترف بحق الناس وإلا يموت تحت العصا، وأنت لا أخالك إلا من هذا القسم وعاهدت الله أن تُضرَب كل يوم مائة جلدة حتى تعترف بحق التجار، ثم طاح على واحد في المجلس وقال: أنا داخل على الله أن يسترني، والحقيقة أن حق الناس عندي وأنا الذي أخذته، فالقاضي لا بد أن تكون عنده فطنة وتلمس الطرق التي توصل الحق إلى مستحقه.

■ كيف يرى فضيلتكم عظم مسؤولية القاضي؟

ـ القاضي مهمته عظيمة، ومنزلته كبيرة لأنه يحكم بحدود الله، فلا رقيب عليه إلا الله تبارك وتعالى، فهو المسؤول وحده عن أعماله القضائية، فيجب على القاضي أن يتحرى كل ما يكتب، وما يقوله، وما يحكم به أمام الله؛ لأنه مسؤول عن ذلك، ويجب عليه دوماً مراقبة الله فيما يكتبه، وما يحكم به.

كما عليه بذل الجهد، والاجتهاد في تحقيق العدالة وإنصاف المظلوم من الظالم، والاحتساب في ذلك لما يصيبه لتحقيق ذلك من التعب وضرر الصحة.

• لتنفيذ أحكام الله المملكة يضرب بها المثل في الأمن

• هذه حكايتي مع الأمن عندما حملت الدراهم ٧٠٠ كيلو متر

■ ما تقويمكم لما وصلت إليه مسيرة القضاء ونظمه في المملكة؟

ـ منذ أن استتب الأمر للملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ والقضاء في بلادنا في تطور مستمر، وهذا ناتج عن التطور

الذي حصل في البلاد في جميع الميادين، فيوم كانت البلاد في عهدها الأول من البساطة كان القضاء موافقاً لهذه البساطة، وبعد أن اتسعت البلاد وكثرت أعمالها وتجارتها وكثر عمرانها وسكانها، تطورت مع ذلك نظم القضاء وإجراءاته.

■ عاصرتم مراحل مختلفة في سلك القضاء في المملكة، فما أبرز ملامح الاختلاف بين الوقت السابق والحالي؟

- بلا شك أن هناك اختلافاً فلما شكا الناس لأنس بن مالك رضي الله عنه الحجاج، قال: اصبروا فإني سمعت نبيكم يقول: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، فقد كان الناس في السابق على الفطرة، وأروي لكم أنني عندما كنت قاضياً في القحمة من عام ١٣٧٢ - ١٣٨٥هـ أبت في معظم القضايا وأنا خارج للمسجد، فيأتي الخصوم فيقولون: علومنا ستيرة، فأقول: الله يستر علينا وعليك، فيقول: أساء لي فلان بكذا وكذا أو على فلان كذا وكذا والآخر يقول: صحيح أو أطلب مني اليمين فيحلفوا في نفس اللحظة ولا يحتاج ذلك إلى كتابة ولا محكمة ولا معاملات، فكان الناس على الفطرة، فالقضاة مستريحون يحكمون في الشارع وفي المجلس وفي أي حال، أما الآن فقد اختلف الوضع والناس الذين كانوا على الفطرة، فاحتاج الأمر إلى دفاتر وإلى بينات وإلى جلسات وغيرها، وخلال مكوثي في القحمة لمدة ١٥ سنة ما أظن سجلت مائة

• هذه هي الكتب والمصادر التي يعتمد عليها

• على طالب العلم أن يجمع في أخذ العلم بين العلماء والكتب

قضية في هذه المدة كلها، فكلّ القضايا حلت مباشرة فيرضى الخصوم ولا أشاهدهم إلا في قضية أخرى.

■ وسائل الإثبات الحديثة ما أهميتها للقاضي؟

- يجعلها القاضي قرينة، فهناك قرائن فإذا كانت القرينة لا تتنافى مع الشريعة أخذ بها، فإذا أثبت التقرير الطبي أن الواقعة كانت كذا، فقد أسس

العلماء - رحمة الله عليهم - للجنايات قواعد، فالقرائن الطبية إذا لم تتناف مع قواعد الشريعة يؤخذ بذلك كقرينة لا حكم.

■ كيف يوفق القاضي بين تأهيل نفسه ومتطلبات العمل اليومي؟

- إذا كان القاضي فطناً، وأخذ العلم عن علماء مشهورين، وبارزين، ثم لم يكتف بذلك، بل يبحث في الكتب ويوسع اطلاعه على الأحكام الشرعية، ويلخص ما عرفه وتعلمه فيما يوافق الواقع، فهذا هو الذي يجب على القاضي وطالب العلم، فالعمل اليومي محدد بساعات حددته الحكومة - وفقها الله - وباقي الوقت فيه سعة لطالب العلم أن يبحث عن العلم في كل مكان.

■ قد يواجه القاضي بعض المضايقات من الخصوم، فكيف يتعامل معهم في ذلك؟

- يجب أن يستعمل معهم الرفق، فإذا لم ينفع الرفق، استعمل معهم القسوة، حتى لو أدى ذلك إلى سجن أحدهم إذا أساء؛ لأن هناك تعليمات، والشريعة توافق ذلك لو أمر بسجنه أو تأديبه ويعاملهم باللين، حتى لا ينفروا عن الحق.

■ ما نصائحكم للقضاة المبتدئين؟

- أوصيهم ونفسي بتقوى الله عز وجل قبل كل شيء، ثم التقيد بشريعتنا والتحلي بالأخلاق الفاضلة عن سلفنا الصالح؛ لان ذلك موجود في سيرهم المكتوبة عنهم وما سار عليه سلفنا الصالح وعلماؤنا الأفاضل.

■ هل ينتهي التحصيل العلمي للقاضي بالتقاعد؟ وكيف يقضي فضيلتكم ساعات اليوم؟

- يختلف الناس في ذلك، أما عن نفسي: بعد صلاة الفجر اقرأ الذكر المأثور

• سماحة الشيخ ابن باز حثني على شراء الكتب التي فيها مخالفات شرعية لتبيين الحق من الباطل

• القاضي يجب أن يلم بالأمور الإدارية المعنية في عمله.

وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد» مائة مرة كما قال الصادق المصدوق في صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة كان له عدل عشر رقاب أي كأنه اعتق عشر أنفس وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان يومه ذلك في حرز من الشيطان، ولهذا رأى العلماء أن يقوله المؤمن في أول النهار ليحفظ في نهاره كله، ويقوله في أول الليل ليحفظ في مسائه كله. ثم أواصل في القراءة والمطالعة.

ولا ينتهي التحصيل العلمي بالتقاعد ويستمر إلى الرجوع لمطالعة الكتب التي يستفيد منها، لأنه ربما إذا علم الناس أنه طالب علم يسألونه، فلا بد أن تستمر الصلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكتب العلماء والسلف، فالإنسان يحتاج إلى الزيادة من العلم دائماً حتى الممات، فقد حدث لي مرة أن تناقشت مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمة الله عليه - في مسألة - مع سعة علمه - قلت له: إن بعض أهل منطقة الجنوب يأتي وهو يريد العمرة أو الحج ولكنه يذهب للمدينة المنورة رأساً، قال هن لهن ولمن أتى عليهن ممن أراد الحج والعمرة قلت له هو قصده الحج قال لكن قصده قبله المدينة فيرجع لنية العبد ما هو قصده فقال - رحمه الله - إلا إن كان عندك نص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو أي شيء ما بلغنا جزاكم الله خيراً أخبرنا به وهو - رحمه الله - على سعة علمه واطلاعه يحتاج إلى مزيد من العلم.

ولا يأنف من قبول العلم من غيره.

وأعود إلى ساعات اليوم فبعد الدعاء المأثور اقرأ وردي آيات معينة من كتاب الله المرصودة في مؤلفات الحصن الحصين وغيره، ثم إن كان عندي سعة قرأت ما تيسر من القرآن لأن لي ورداً من صلاة العصر مع ذكر الله والتسبيحات والتهليلات.

■ مجلة العدل جعلتها الوزارة منبراً من منابر العلم فما أهمية إصدارها؟

- في الواقع أنا سررت لإصدار هذه المجلة العلمية لاهتمامها بنشر العلم الشرعي والأحكام الفقهية، وهي بلا شك ستكون رافداً من روافد التحصيل العلمي المدروس، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق القائمين عليها وفي مقدمتهم معالي وزير العدل رئيس لجنة الإشراف على هذه المجلة وأن ينفع بها المسلمين.